حسناء الغاب النائمة



حسناء الغاب النائمة

كَانَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ مَلِكٌ وَمَلِكَةٌ وَلَمْ يَكُونَا سَعِيدَيْنِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا أَوْلَادٌ، فَنَذَرَا لِسَيِّدَةِ ٱلتَّلِّ، فَدَعَا ٱلرَّبُّ إِلَيْهِ جِنِّيَّةَ ٱلنُّجُومِ وَأَمَرَهَا بِأَنْ تُسْقِطَ مِنْهَا نَجْمَةً فِي سَرِيرِ ٱلْمَلِكَةِ. فَأَسْقَطَتْ نَجْمَةً فِي سَرِيرِ ٱلْمَلِكَةِ. وَفِي غَدِ تِلْكَ ٱلْعَشِيَّةِ دَقَّتْ أَجْرَاسُ ٱلْمَمْلَكَةِ مُبَشِّرَةً بِوِلَادَةِ ٱلْأَمِيرَةِ. ثُمَّ ٱحْتُفِلَ بِعِمَادَتِهَا، فَدُعِيَ إِلَى ٱلْحَفْلَةِ جَمِيعُ جِنِّيَّاتِ ٱلْمَمْلَكَةِ فَقَدَّمْنَ لَهَا ٱلْهَدَايَا ٱلْفَاخِرَةَ ٱلثَّمِينَةَ.



وَبَعْدَ ٱنْتِهَاءِ حَفْلَةِ ٱلْعِمَادِ، ظَهَرَتْ جِنِّيَّةٌ عَجُوزٌ وَعَتَبَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ أَنَّهَا لَمْ تُدْعَ إِلَى ٱلْحَفْلَةِ. وَعِنْدَ ٱنْتِهَاءِ ٱلْمَأْدُبَةِ دَنَتْ مِنَ ٱلْمَهْدِ وَقَالَتْ لِلطِّفْلَةِ، إِذَا بَلَغْتِ ٱلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِكِ شَكَكْتِ نَفْسَكِ بِمِغْزَلٍ وَمُتِّ. فَٱحْتَجَّتْ صُغْرَى ٱلْجِنِّيَّاتِ وَقَضَتْ بِأَنْ تَبْقَى فِي قَيْدِ ٱلْحَيَاةِ، عَلَى أَنَّهَا تَنَامُ مِئَةَ سَنَةٍ فَإِذَا ٱنْتَهَتْ هٰذِهِ ٱلْمُدَّةُ جَاءَ أَمِيرٌ مِنْ سُلَالَةٍ مُلُوكِيَّةٍ وَأَيْقَظَهَا وَتَزَوَّجَ بِهَا. فَحَزِنَ ٱلْمَلِكُ وَٱلْمَلِكَةُ حُزْنًا شَدِيدًا.



وَجَمَعَ ٱلْمَلِكُ وُزَرَاءَهُ وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يُحْرِقُوا جَمِيعَ ٱلْمَغَازِلِ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ. وَجُمِعَتِ ٱلْمَغَازِلُ فِي سَاحَةِ ٱلْمَدِينَةِ وَأُحْرِقَتْ بَيْنَ هُتَافِ ٱلشَّعْبِ ٱلَّذِي كَانَ يُحِبُّ ٱلْأَمِيرَةَ ٱلْحَسْنَاءَ حُبًّا كَثِيرًا. ثُمَّ كَرَّتِ ٱلسُّنُونَ وَهَدَأَ رَوْعُ ٱلْمَلِكِ وَٱلْمَلِكَةِ وَٱطْمَأَنَّ بَالُهُمَا عَلَى ٱبْنَتِهِمَا «وَرْدَةِ ٱلشَّوْكِ» وَلَمَّا بَلَغَتِ ٱلْأَمِيرَةُ ٱلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ سِنِّهَا أَخَذَ ٱلْبَلَاطُ يَتَأَهَّبُ لِلِاحْتِفَالِ بِذِكْرَى وِلَادَتِهَا.



وَمَا كَانَ أَحَدٌ، بَعْدَ مُرُورِ ٱلسِّنِينَ، يَذْكُرُ تِلْكَ ٱلنُّبُوَّةَ ٱلْمَشْؤُومَةَ. فَكَانَتِ ٱلْخَيَّاطَاتُ يَخِطْنَ ٱلْأَثْوَابَ ٱلْفَاخِرَةَ لِلْأَمِيرَةِ ٱلسَّعِيدَةِ، وَيَأْتِينَ ٱلْوَاحِدَةُ بَعْدَ ٱلْأُخْرَى لِقِيَاسِهَا عَلَيْهَا. وَكَانَ ٱلْعَمَلَةُ وَأَرْبَابُ ٱلصِّنَاعَاتِ يُزَيِّنُونَ ٱلْمَدِينَةَ، وَيَنْصِبُونَ أَقْوَاسَ ٱلنَّصْرِ فِيهَا. - وَأَرَادَتِ ٱلْأَمِيرَةُ أَنْ تَرَى مَعَالِمَ ٱلزِّينَةِ فِي ٱلْمَدِينَةِ، فَصَعِدَتْ مَعَ وَصِيفَةٍ مِنْ أَعَزِّ وَصِيفَاتِهَا وَغُلَامٍ مِنْ أَفْضَلِ غِلْمَانِهَا إِلَى أَعْلَى بُرْجٍ فِي ٱلْقَصْرِ.



فَلَمَّا فَتَحَتِ ٱلْأَمِيرَةُ بَابَ ٱلْبُرْجِ ظَهَرَتِ ٱمْرَأَةٌ عَجُوزٌ جَالِسَةٌ عَلَى كُرْسِيٍّ تَغْزِلُ ٱلصُّوفَ وَهِيَ تَبْتَسِمُ وَتُغْرِيهَا بِٱلدُّنُوِّ مِنْهَا. وَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ ٱلثَّلَاثَةِ يَعْرِفُ نُبُوَّةَ ٱلْجِنِّيَّةِ ٱلْخَبِيثَةِ وَلَا يَعْرِفُ مَا ٱلْمِغْزَلُ، ثُمَّ إِنَّ «وَرْدَةَ ٱلشَّوْكِ» دَفَعَهَا فُضُولُهَا فَٱقْتَرَبَتْ مِنَ ٱلْعَجُوزِ وَهَمَّتْ بِأَنْ تَأْخُذَ ٱلْمِغْزَلَ مِنْهَا، فَسَقَطَ ٱلْمِغْزَلُ عَلَى رِجْلِهَا وَطَرَقَ خُفَّهَا وَجَرَحَ رِجْلَهَا وَسَالَ ٱلدَّمُ مِنَ ٱلْجُرْحِ.



وَصَاحَتِ ٱلْأَمِيرَةُ صَيْحَةً ثُمَّ سَقَطَتْ مُغْمِيًّا عَلَيْهَا ، وَخَافَتِ ٱلْوَصِيفَةُ وَٱلْغُلَامُ خَوْفًا شَدِيدًا، فَتَعَاوَنَا عَلَى إِنْهَاضِ ٱلْفَتَاةِ وَإِجْلَاسِهَا عَلَى كُرْسِيٍّ ، ثُمَّ أَطَلَّ ٱلْغُلَامُ مِنَ ٱلنَّافِذَةِ وَرَاحَ يَسْتَنْجِدُ وَيَسْتَغِيثُ . وَلَمَّا جَاءَ ٱلنَّاسُ تَحَوَّلَتِ ٱلْعَجُوزُ إِلَى غُرَابٍ وَفَرَّتْ مِنَ ٱلنَّافِذَةِ ، وَتَعِبَتْ ثُمَّ ٱتَّجَهَتْ وِجْهَةَ قَصْرِ ٱلْجِنِّيَّةِ وَٱخْتَفَتْ عَنِ ٱلْأَبْصَارِ . وَدُعِيَ لِمُعَالَجَةِ «وَرْدَةِ ٱلشَّوْكِ» أَشْهَرُ ٱلْأَطِبَّاءِ وَأَمْهَرُهُمْ ، فَذَهَبَ تَعَبُهُمْ بَاطِلًا .



لَا تَسَلْ كَمْ كَانَ حُزْنُ ٱلْمَلِكِ وَٱلْمَلِكَةِ. ثُمَّ وُضِعَ جِسْمُ ٱلصَّبِيَّةِ عَلى سَرِيرٍ مِنَ ٱلرَّيْحَانِ فِي قَاعَةِ ٱلْقَصْرِ. وَسَهِرَ ٱلْمَلِكُ وَٱلْمَلِكَةُ عَلَيْهَا ٱلْأَيَّامَ وَٱللَّيَالِي. ثُمَّ أَقْبَلَتِ ٱلْجِنِّيَّةُ عَلَى ٱلْفَتَاةِ فَلَفَظَتْ بَعْضَ كَلِمَاتٍ سِحْرِيَّةٍ صَانَتْ بِهَا «وَرْدَةَ ٱلشَّوْكِ» مِنَ ٱلِانْحِلَالِ وَٱلْبِلَى، وَهِيَ تَقُولُ: «يَا «وَرْدَةَ ٱلشَّوْكِ» ٱلْحَبِيبَةَ، نَامِي وَلَا تَمَلِّي. وَٱحْلُمِي ٱلْأَحْلَامَ ٱلْحُلْوَةَ، فَبَعْدَ ٱلشَّقَاءِ ٱلسَّعَادَةُ. سَوْفَ يَأْتِي ٱلْأَمِيرُ وَيُوقِظُكِ مِنْ رُقَادِكِ».



هٰكَذَا كَانَتِ ٱلْجِنِّيَّةُ تَتَرَنَّمُ وَتَمَسُّ بِطَرَفِ رِدَائِهَا ٱلْحَرِيرِيِّ ٱلْمَلِكَ وَٱلْمَلِكَةَ وَٱلْخَدَمَ وَٱلْحَشَمَ وَكَلْبَ ٱلْأَمِيرَةِ وَغَيْرَهُ مِنَ ٱلْحَيَوَانَاتِ، فَكُلَّمَا لَمَسَتْ وَاحِدًا مِنْهُمْ تَحَوَّلَ إِلَى تِمْثَالٍ مِنْ حَجَرٍ ثُمَّ أَمَرَتِ ٱلْأَشْجَارَ وَٱلْأَعْشَابَ بِأَنْ تَنْمُوَ، وَأَنْ تَتَشَبَّكَ ٱلْأَغْصَانُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَوْقَ ٱلْأَمِيرَةِ فَلَا يَرَاهَا أَحَدٌ. ثُمَّ طَارَتِ ٱلْجِنِّيَّةُ إِلَى قَصْرِهَا وَمَرَّتِ ٱلسُّنُونَ وَتَنَاسَى ٱلنَّاسُ قِصَّةَ «وَرْدَةِ ٱلشَّوْكِ».



وَلَمَّا ٱنْقَضَى مِئَةُ سَنَةٍ عَلَى رُقَادِهَا كَانَ ٱلْأَمِيرُ «نَرْجِس»، ٱبْنُ ٱلْمَلِكِ «قَرَنْفُل» وَٱلْمَلِكَةِ «فِتْنَة»، قَدْ بَلَغَ ٱلْعِشْرِينَ مِنْ سِنِّهِ فَخَرَجَ لِلصَّيْدِ. وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَدِيقَةِ ٱلْأَمِيرَةِ لَقِيَ عِنْدَ بَابِهَا شَيْخًا فَلَّاحًا يَعْزِقُ ٱلْأَرْضَ فَسَأَلَهُ عَنِ ٱلْحَدِيقَةِ فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ «وَرْدَةِ ٱلشَّوْكِ»، وَقَالَ لَهُ، مَا مِنْ أَحَدٍ جَرُؤَ عَلَى دُخُولِ هٰذِهِ ٱلْحَدِيقَةِ. فَدَهِشَ ٱلْأَمِيرُ وَقَالَ، أَمْرٌ عَجِيبٌ غَرِيبٌ. لٰكِنَّنِي أَفْعَلُ مَا لَمْ يَفْعَلْ غَيْرِي.



وَٱسْتَلَّ «نَرْجِس» حُسَامَهُ وَأَخَذَ يَشُقُّ بِهِ طَرِيقَهُ فِي ٱلْغَابَةِ، فَشَاهَدَ فِيهَا مَشْهَدًا عَجِيبًا. رَأَى أَشْخَاصًا وَاقِفِينَ فِي هَيْآتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَٱلدَّمْعُ يَسِيلُ مِنْ جُفُونِهِمْ لٰكِنَّهُمْ لَا يَتَحَرَّكُونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا تَمَاثِيلَ مِنَ ٱلْمَرْمَرِ. وَرَأَى فِي وَسْطِهِمْ «وَرْدَةَ ٱلشَّوْكِ» ٱلْحَسْنَاءَ مُمَدَّدَةً عَلَى سَرِيرٍ مِنَ ٱلرَّيْحَانِ، وَوَجْنَتَاهَا أَزْهَى مِنَ ٱلزَّهْرِ وَٱلِٱبْتِسَامَةُ عَلَى شَفَتَيْهَا، ثُمَّ دَقَّتْ أَجْرَاسُ عِيدِ ٱلْقِيَامَةِ فِي ٱلْمَدِينَةِ فَلَمَسَ بِيَدِهِ يَدَ ٱلصَّبِيَّةِ.



وَفِي ٱلْحَالِ فَتَحَتِ ٱلْأَمِيرَةُ عَيْنَيْهَا، وَٱسْتَوَتْ قَاعِدَةً عَلَى سَرِيرِهَا وَسَمِعَ صَوْتٌ يُنْشِدُ وَيَقُولُ: «قَدْ كُنْتِ مَلِكَةَ ٱلْوَرْدِ خِلَالَ مِئَةِ سَنَةٍ وَقَدْ جَاءَ زَوْجُكِ وَبَطَلَ ٱلسِّحْرُ فَٱنْهَضِي مِنْ رُقَادِكِ». وَتَعَانَقَ ٱلْحَبِيبَانِ وَتَحَرَّكَتِ ٱلتَّمَاثِيلُ وَعَادَتِ ٱلْحَيَاةُ إِلَيْهَا وَكُلُّهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَانَ يَحْلُمُ. فَأَخْبَرَهُمْ «نَرْجِس» بِحَقِيقَةِ ٱلْأَمْرِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ سِحْرِهِمْ وَنَجَاتِهِمْ مِنْهُ، فَنَهَضَ ٱلْمَلِكُ وَٱلْمَلِكَةُ وَقَبَّلَاهُ وَدَعَوَاهُ ٱبْنًا لَهُمَا.



وَعَادَ ٱلْقَصْرُ إِلَى سَابِقِ حَيَاتِهِ، وَهَلَّلَ ٱلشَّعْبُ، وَأَقْبَلَتِ ٱلْجِنِّيَّةُ ٱلْفَتِيَّةُ وَأَعَادَتْ بِسِحْرِهَا مَا كَانَ عَلَيْهِ ٱلْقَصْرُ وَٱلْحَدِيقَةُ مِنَ ٱلْأُبَّهَةِ وَٱلْجَلَالِ. وَكَانَ ٱلْأَمِيرُ «نَرْجِس» قَدْ عَرَّفَ وَالِدَيْهِ بِخَطِيبَتِهِ ٱلْأَمِيرَةِ «وَرْدَةِ ٱلشَّوْكِ» فَأَحَبَّاهَا وَأُعْجِبَا بِهَا. ثُمَّ ٱحْتُفِلَ بِزِفَافِهِمَا. وَعِنْدَ ٱنْتِهَاءِ وَلِيمَةِ ٱلْعُرْسِ أَخَذَتْ «وَرْدَةُ ٱلشَّوْكِ» تَقُصُّ عَلَى ٱلْحَاضِرِينَ مَا رَأَتْ مِنَ ٱلْأَحْلَامِ ٱلْعَجِيبَةِ طَوَالَ رُقَادِهَا عَلَى سَرِيرِ ٱلرَّيَاحِينِ.



قوس الغمام

٩

منشورات المكتبة البولسية
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩-١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢